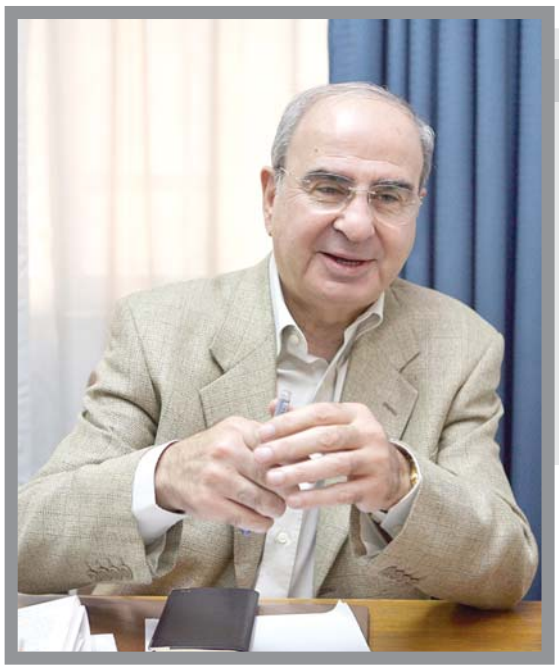

الحلقة ٢٤

هل يمكن العثورعلى سياسي أردني واحد لديه الجرأة أو المزاج أو قدرة التحكّم بلسانه بحيث يكتفي بالحديث «بعيداً عن السياسة»وفي هذا الوقت بالذات؟ نقصد في فصل «الربيع العربي » الذي أصبح فيه كل شيء سياسة، وسياسة تعوم في فائض الشك ونكهات الريبة ومحفزات رفع الصوت.

في السنوات الماضية وحتى فترة غير بعيدة ،كان الحديث «بعيداً عن السياسة «مغرياً وممتعاً للسياسيين المحترفين. فما يعرفونه ويجهله الشارع، هو أكثر بكثير مما يودّون الخوض فيه. الآن تغير الوضع واختلطت بعض الاشارات الحمراء بالصفراء بالخضراء..

حديث السياسي «بعيداً فعلاً عن السياسة» بات وكأنه تهمة بالغياب عن الصورة أو انعدام الموقف أو شبهة بجفاف الذاكرة .

ذوات سبق وتحدثوا «بعيداً عن السياسة » وكانوا ممتعين في سردهم الهادئ، اختلفت نبرة الكثيرين منهم هذه المرّة. حديثهم أضحى أكثر إثارة بالمواقف وأثرى بالتفاصيل التي وإن كان عمرها أكثر من خمسين سنة إلا أنها تأتي موصولة بالذي نراه الآن ويفاجئنا .

الحكي «هذه المرة » له ميزة أخرى. فهو يكشف أن العديد من رجالات الدولة الذين لم نكن نرى منهم سوى صفحة التجهم واليباس، هم بعد التقاعد أصحاب بديهة رائقة وتسعفهم النكتة عندما تحرجهم الأسئلة.

ملك التل

طاهر المصري ضمير السياسة الأردنية.. الرجل الذي لا يضيع بوصلته (٦-١٢)

الذين حاولوا توصيف الحياة السياسية الأردنية، تفاوتت تقديراتهم بشدة على أمور كثيرة، لكنها اتفقت على نقطتين: الأولى أن هذه الحياة السياسة محرقةٌ لرجالاتها، وبالذات في السنوات العشرين الماضية. فلم يغادر رئيس وزراء إلا وكان التصوّر أنه لن يعود بعدها لكثرة ما كانت تلحقه في أيامه الأخيرة من حملات تغبير. والصفة الثانية للحياة السياسية الأردنية أنها بدون ذاكرة مدوّنة!. لا تفسير واضحاً لهذه الظاهرة سوى احتمال أن يكون رؤساء الحكومات السابقون لا يريدون تدوين مذكراتهم لكثرة ما التبس فيها من أمور يصعب تدوينها بموضوعية.

طاهر المصري، رئيس مجلس الأعيان والرئيس الأسبق للوزراء، لا نريد أن نقول أنه الوحيد الذي « نجا » من هاتين الصفتين. فالرجل لشدة تواضعه وعزوفه الفطري الصادق عن سماع التقريظ الفاقع، لن يرضيه أن يقال عنه أنه من رجال الدولة ذوي السوّية الفريدة الذين لم تحرقهم السلطة ولم يندرجوا في الاصطفافات الخلافية ولم تتلوث أيديهم بالموبقات السياسية أو المالية. ولأنه كذلك فان التحرش بذاكرته السياسية للسنوات العشرين الماضية مسألة صحفية ممتعة.

في المملكة المغربية يطلقون على رجالات الدولة المرصودين للمهمات الكبيرة، تعبير رجال «الخزّان»، باعتبارهم يُفترضُ أن يكونوا ثقاةً عدولاً أقوياء وذوي أفق مبدع لتولي القضايا المفصلية أو الصعبة. أبو نشأت (ونشأت أيضاً اسم والده) له في «الخزان الأردني الهاشمي» موروثٌ عائلي سابقٌ لوحدة الضفتين عام ١٩٥١. وقد عزّزه الرجل بالممارسة الشخصية الشاقّة. في عام ١٩٩١ آثر أن تستقيل حكومته على أن يُحلّ مجلس النواب، فسُجلت له ضمن سفر الحياة الديمقراطية. كان له حضوره في لجنة الميثاق الوطني، ومن فوقها بنى جهوداً أثيرة في رئاسة اللجنة الوطنية الأخيرة للحوار السياسي. وحين يُسال الرجل عن تجربته مع الإخوان المسلمين في حكومة الـ ٩١ وفي لجنة الحوار فانه يستذكر تفاصيل تستحق التسجيل في قاموس الحياة المدنية والحراك الديمقراطي، حيث الاختلاف السياسي لا يؤثر على الإحترام الشخصي المتبادل.

حتى لا نثقل على تواضع الرجل بأوصاف وألقاب إيجابية يعرفها الجميع، فإننا نقتطف بعضاً مما أوردته موسوعة ويكيبيديا عن الرجل. فهي تنقل كلمة المغفور له بإذن الله الملك الحسين عندما قال له: «ما تعاملتُ مع إنسان أشرف منك يا طاهر». وفي سياق آخر يوصف أبو نشأت بأنه «ضمير الحياة السياسية الأردنية» كونه يؤمن بمدنية الدولة إيماناً أهلّه لأن يتولى على المستوى القومي مسؤولية قطاع المجتمع المدني في الجامعة العربية أيام تعاظم الإحساس بضرورة الإسراع في الإصلاح. فقد نشأ الرجل على الإيمان القومي حد التصوف. وهو يعتبر وحدة الضفتين تحدياً قومياً وطنياً لاتفاقية سايكس بيكو. وفي تجسيده لمفهوم وسلوكيات الوحدة الوطنية كان الأبعد عن جدل المحاصصة والحقوق المنقوصة. وحين يتحدث في هذه الحلقات عن قرار فك الإرتباط فان لديه ما يقوله من تفاصيل قد لا يعرفها الكثيرون.

أبو نشأت الذي أنهى دراسته في جامعة تكساس في الولايات المتحدة الأمريكية، بدأ حياته الوظيفية في البنك المركزي أيام تأسيسه (براتب ٤٥ ديناراً شهرياً). مروحة المهمات التي تولاها بعد ذلك توسعت ،من النيابة إلى الوزارة إلى رئاسة الحكومة إلى رئاسة مجلس النواب ورئاسة مجلس الأعيان. هذا عدا التمثيل الدبلوماسي للاردن والمهمات القومية المدنية. وفيها كلها ظل متمسكاً بمنظومة المبادئ الشخصية التي يقول في مدونته الشخصية على الانترنت أنها ألقت بظلالها على مسيرته السياسية والاجتماعية. ولعلها هي ذاتها الانطباع الشائع عنه بأنه «رجل لا يضيع بوصلته».

أيـــن هـــو الإعـــلام الرسمـــي؟!

ليس يحمي السياسي من التغوّل والتفرد مثل اشتغاله بالعمل المدني التطوعي. ففي هذا النوع من الخبرة مراسٌ بالمشاركة والمسؤولية يُحصن السياسيين من سطوة شهوات المركزية. رئيس مجلس الأعيان طاهر المصري، وفي منتصف مسيرته السياسية وهي في أوجها، خاض تجربة العمل المدني على المستوى القومي عندما كلفته أمانة الجامعة العربية بأن يجتهد في مساوقة الحركة الإصلاحية في مساقاتها الرسمية والشعبية. لكن تلك التجربة كشفت للرجل بأن العمل المدني الحقيقي والأهم هو الذي يجري على المستوى الوطني وليس القومي. وحين يُسأل الآن عن حال الصحافة والمثقفين وشبهات التمويل الأجنبي فإنه يطرح رؤية تستحق الإنصات لها.

■ يشكو بعض المثقفين مما يسمونه «التسمم السياسي»، ويقصدون به الجرعة الزائدة عن الحدّ من أحاديث الناس واهتماماتهم بالمستجدات السياسية. فالفضائيات والصحف ودورة الحياة اليومية للناس أصبحت مسيّسة زيادة عن الحد نتيجة الوتيرة السريعة في تغييرات المنطقة. هل يرى أبو نشأت أن الاهتمامات السياسية، الصحية والطبيعية للناس زادت كثيراً عن حدّها على حساب التوازن النفسي والاجتماعي للحياة العامة لدينا؟

ما ذكرته في سؤالك لا أسميه تسمم سياسي، بل اهتمام زائد عن اللزوم بالسياسة وبالأمور والاحوال السياسية. هذا الأمر مبرر إلى حد كبير، لأننا نعيش في منطقة هائجة مائجة منذ عقود طويلة. حدثت من حول الناس صراعات كثيرة داخل الأقطار العربية ومع إسرائيل وقوى أجنبية أخرى، فأصبح الموضوع السياسي أو العامل السياسي أساسياً في حياة المنطقة وفي حياة الشعوب العربية. وزاد في اهتمام الناس بالسياسة أن النخبة هي التي تركز على هذا الموضوع. النخبة وهي الطبقة المتوسطة، كانت أمورها المعيشية ميسرة ومريحة، وكان لها الوقت الكافي أو الرفاهية لتتحدث وتتعامل مع السياسة، أما الآخرين الذين أحوالهم المعيشية صعبة فلم تكن لهم أماكن أو أوقات متاحة للإنخراط في هذا الأمر، ولذلك بقي العمل السياسي والتركيز عليه إلى فترة قصيرة محصوراً بالنخبة في المجتمع . لكن الآن مع الربيع العربي والثورات والانتفاضات وانفتاح العالم وثورة التكنولوجيا، فقد انفتح العالم على بعضه. الفقير والغني اصبحوا منفتحين على نفس الأشياء، ويراقبون نفس الأحداث ولهم رأي بها، فاختلف الأمر وأصبح هناك أمور سياسية تتعامل معها طبقات أخرى غير النخبة. لكن ما زال الاهتمام السياسي أكثر. أنا مع الرأي القائل بأنه لا بد من الاهتمام بجوانب أخرى من المجتمع العربي والأردني. نحن نتحدث عن الإصلاح والتعبير بمعناه العريض، يعني في أذهان الناس الإصلاح السياسي، هناك حاجة لإصلاحات اقتصادية واجتماعية وإدارية وثقافية وفي مجال التربية والتعليم ..الخ.. نعم معكم حق بأننا زدنا الأمور في الاهتمام بالأمور السياسية وأهملنا جوانب كثيرة، ولذلك نشأ القيل والقال والتدخل في شؤون الناس الشخصية.

■ البعض يرى أن انتفاضات ٢٠١١ كشفت غربة المثقفين العرب ومدى بعدهم عن هموم الناس وانحياز معظمهم للسلطة؟

ليس بهذه القسوة. المثقفون العرب ليسوا جميعهم مع السلطة. هناك كثيرون مع الشعب والناس. أنا بالسلطة لكنني لست مع مطلق السلطة. لي رأي في أي مطالب للشعب، أتفهم مفهوم الدولة وإدارة شؤون الدولة، وباستطاعتي ايضا أن أكون موافقاً مع متطلبات شعبية على ان أعمل على تنفيذها من خلال الدولة أو المنصب الذي أنا به. فالإنسان الموجود في موقع رسمي لا يعني أنه خان قضية الشعب، إلا إذا كان منحازا بشكل نهائي. أستطيع القول أن المثقف العربي لديه عدم وضوح في بعض الأحيان، إلا انهم قادة فكر وقادة مجتمع.

■ لدولتكم تجربة مميزة وغنية في شؤون المجتمع المدني العربي إذ توليتم الثقة القومية في ذلك عندما أنيطت بكم هذه المسؤولة لدى الجامعة العربية، وهو الأمر الذي لم يتحقق إلا قليلاً. من واقع معايشتكم لواقع المجتمع المدني العربي، كيف تقيمون أداءه ونضوجه ومعيقاته وفرص ان يكون شريكاً حقيقياً مع السلطات الثلاث» التنفيذية والتشريعية والقضائية»؟

نمو المجتمع المدني كان نمواً طبيعياً ومتحققا بسبب ازدهار هذا الجسم المدني في دول العالم قاطبة، ومشاركته مع الحكومات في إدارة شؤون المجتمع كل في اختصاصه. هذا الأمر وصل متأخراً الى العالم العربي. بدأ يظهر نمو ونشاط المجتمع المدني في البلدان العربية التي بها ديمقراطية وحرية أكثر من غيرها، فازدهر في بلد مثل الأردن ومصر والمغرب، وبدأ ينمو أيضاً في شراكته مع القطاع العام، فأصبح هناك القطاع العام والخاص ومن ثم قطاع المجتمع المدني. لكن المبادرة «للأمانة» أتت من عمرو موسى عندما تولى منصب أمين عام جامعة الدول العربية، فهو رجل متفتح تقدمي يؤمن بأن الشارع العربي موحد بشكل معاكس لما هو عليه وضع القيادات العربية، وأن الشارع العربي موجود من خلال مؤسسات المجتمع المدني، فكان ينظر إلى تنمية المجتمع المدني بنوع من التنمية الوحدوية من القاعدة إلى القمة تمهيداً لإجراءات وحدوية عربية. لكن في الحقيقة نظام الجامعة العربية وروتينها قللا من إمكانياتها فلم تؤهل الجامعة ولا المفوضية المهمة التي كنت أتولاها لتأخذ دورها الواسع والكبير. لكن تم ترسيخ المبدأ وبدأ التعامل بإدخال مفهوم المجتمع المدني إلى المجلس الاقتصادي الاجتماعي التابع لجامعة الدول العربية.. ما أريد قوله أن النشاط القطري للمجتمع المدني هو أكبر وأهم من نشاط الجامعة العربية. في «الأجندة الوطنية «التي جرت صياغتها عام ٢٠٠٦ وضعنا فصلاً كاملاً عن موضوع المجتمع المدني وتنميته. لذلك فان المجتمع المدني عادل النمو مع الربيع العربي، وإن شاء الله يكون محركاً للشارع العربي بطريقة منظمة ووطنية وهادفة لتصبح مؤسسات المجتمع المدني برقي المجتمعات الأوروبية والغربية.

■ بمناسبة ما جرى مؤخراً في مصر من هجمة على بعض منظمات المجتمع المدني، هل تكوّن لديكم انطباع أو معلومات عن خضوع هذا القطاع العربي لتمويل وأجندات خارجية؟ أم أن الموضوع مماحكة بين الأنظمة وقوى التغيير ال مدنية؟

لا أستطيع الحكم على ما جرى في مصر لعدم توفرمعلومات كافية. لكن بشكل عام، هناك شكوك ومخاوف من قبل فئات وطنية من أن جهات أجنبية تمول بعضا من مؤسسات المجتمع المدني لأغراض غربية معينة. مثلاً هناك من يقول بأن موضوع تنظيم النسل أمر معاكس للدين وأن الغرب يريد التدخل في شؤوننا الدينية وفي تنظيمنا السكاني ويجب أن نقاومه. و من يقول بأن هناك منظمات تدعو للديمقراطية وتريد أن تغلغل الأفكار الغربية في أذهاننا ونحن لا نريد ذلك، واتهامات اخرى كثيرة. الحقيقة أن التمويل الأجنبي مضطرة له بعض فئات المجتمع المدني لعدم توفر التمويل الذاتي العربي .علما بوجود أناس صادقين في نواياهم تجاه تنمية المجتمع المدني وخلق مجتمع ديمقراطي متناسق في العالم العربي. فليس كل من أخذ أو مول أجنبياً يكون عميلاً أو مسيّراً من قبل تلك الجهات، وان كان هناك جهات لها هذا القصد ونعرفها جميعاً. وبالمقابل يوجد جهات ليس لها هذا الهدف. لذلك لا أستطيع ولا يجب على أحد أن يعمم بأن التمويل الأجنبي مرفوض. نحن كبلد، كأردن نتلقى تمويلاً ومساعدات أجنبية نعتمد عليها وهي شريان حياتنا الاقتصادية والاجتماعية ولا نستطيع ونحن تقبض هذه المبالغ والمساعدات غير المشروطة أن نتهم جمعيات لمجرد أنها تتولى أو تمول جزئياً من جهات أجنبية بأنها مسيّرة من قبل هذه الجهات المانحة وإلا فإننا نقع في تناقض بين السماح للدولة بالتمويل وعدم السماح للجميعات بذلك.

■ وفي موضوع مواثيق الشرف والأخلاق التي يفترض أن تحكم الاعلام ألا ترون أن قطاع «البزنس» ورجال الأعمال لدينا يحتاج هو الآخر إلى ميثاق شرف يمنع عمليات اغتيال الشخصية التي يمتلىء بها قطاع الأعمال وتجعله غير قادر ان يكون شريكا مع القطاع العام أو تنافسيا أمام الأسواق الأخرى ؟

دون شك ان الإعلام الذي يسخر لأغراض شخصية قد يمنع رجال الأعمال من المشاركة مع القطاع العام في الاستثمار وفي التنمية. نعم هذا أمر موجود ويحدث باستمرار، لكن ما ينطبق على رجال الأعمال ينطبق على رجال السياسة أيضاً، ففي موضوع الإعلام لا ينبغي أن يعطى انطباع بأنه «بزنس» وهذا ليس لصالح الإعلام. نحن نقول بأن على الإعلام أن يكون رافداً لمفهوم التنمية وأن يبتعد عن الجوانب أو المشاعر والمصلحة الشخصية لأن التنمية مهمة للإعلام وللبلد .

الإعلام بشكل عام يعيش على الإعلان الذي يأتي من الحكومة وبشكل أساسي من القطاع الخاص. فتنمية القطاع الخاص والتنمية العامة بشكل عام هي من مصلحة الإعلام حتى تزدهر مداخيله الإعلانية ، وهذه من ضمن النقاط التي سبق وتحدثنا عنها بضرورة أن يكون إعلاماً مهنياً في تعامله.

■ تقصد الإعلام الرسمي؟

أين هو الإعلام الرسمي؟! هل تقصدين التلفزيون؟!أم الإذعة؟ إعلام الحكومة دائماً أكثر تحفظاً لكنه يؤدي الغرض. بالنسبة إلى التلفزيون لاشك انه يحتاج إلى تطوير هائل وإذاعتنا لا بأس بها لكن في المواضيع السياسية لا شك انها بحاجة إلى تطوير أيضاً. أما القنوات الفضائية والإذاعات الخاصة فمستواها ونشاطها مقبول وسقفها عالٍ.

××××××××

استراحة

■ أعز ما فقدته بحياتك؟

كثيرة هي الأشياء التي فقدتها بحياتي. فقدت والدتي ووالدي، وكانا بعيدين عني. توفاهما الله في نابلس ولم أرهما. ثم فقدت عمي وصديقي ظافر الذي استشهد ولم أره. فقدت أخي الذي قتل بالخطأ عن طريق صديقه يوم تخرجه من المدرسة وكانت صدمة لي. والعزيز الذي فقدته الملك الحسين. وعندما ضاعت الضفة الغربية كنت في عمان شعرنا جميعا بأننا فقدنا جزءاً من كياننا العربي، لكن فقدان القدس أدما قلوبنا.

في الحلقة القادمة: « الوجدان القومي عند طاهر المصري تأصّل في الموروث العائلي وفي البيئة النابلسية الريادية بخمسينيات القرن الماضي»

نقسوا على المثقفين اذا قلنا ان انتفاضات ٢٠١١ كشفت غربتهم وانحيازهم! ليس كل المثقفين مع السلطة.. أنا في السلطة لكن ليس بالمطلق.. أتفهم مطالب الناس وانحاز لها ولتنفيذها من خلال قنوات السلطة

زيادة الاهتمام بالقضايا السياسية على حساب القضايا الاخرى الواجبة أنشأت بيئات الغيبة والنميمة والتدخل في شؤون الناس الشخصية

.. طاهر المصري مع الملك الحسين في العقبة عام ٩١

والد طاهر المصري وحابس المجالي وحكمت المصري في انتظار وصول الملك المؤسس عام ١٩٤٩

زمان كانت الاهتمامات السياسية محصورة في النخب والطبقة الوسطى. والآن مع الربيع العربي والانتفاضات والأجواء الفضائية والالكترونية المفتوحة أصبح الكل يعايشون ويتحدثون نفس القضايا والمشاهد